حياة نسيم حجازي ومكانته العلمية والأدبية في الأدب الأردي

The estimation of Naseem Hijazi in Urdu Literature

* عذراء فضل

* أبوذر خليل

Abstract:
The article deals with the life and contribution of Naseem Hijazi towards reconstruction of Islamic thought through his historical novels in New Muslim generation. As a novel writer، Naseem Hijazi is regarded as one of the finest writers of Urdu language especially in the later 20th century. Among his popular contemporaries were Ibn-e-Safi، Saadat Hasan Manto، and Shafiq-ur-Rehman، all having their particular line of literature. Naseem Hijazi is known for his potent and romantic description of history. There are only two writers prior to Hijazi who wrote history novels in Urdu: Abdul Haleem Sharar and Sadiq sardhunwi، but Hijazi's writing is most credible in terms of historical description and accuracy. He exercised extra care to back his study of history by through research and to cite his sources whenever possible. Hijazi creates his powerful expression by blending this study of history with fairytale romanticism. The story usually revolves around characters who were related to، and shown present at the actual historical event that wishes to focus on. Naseem Hijazi bases most of his work in

* محاضرة بقسم اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا بملتان

** الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا بملتان

Islamic history. In dealing with this history، he shows both the rise and fall of the Islamic Empire. This writer seems to have been inspired a lot by Allama Muhammad Iqbal's poetry. He tries، not very unlike Iqbal، to remind his readers of the lost glory of the Muslims and in a way inspire them to work with commitment to achieve lost glory in all walks of life. Naseem Hijazi has immensely influenced his readers both in and out of Pakistan. He has been one of the key sources of Islamist ideologies in Pakistan and worked as a key ideology and valour builder during the Soviet-Afghan War. Many Pakistani educated Youngsters throughout 1950s till today are believed to have been emotionally and ideologically inspired by his writings. He enjoys a very large reader base even after his death.

....

تمهيد:

إذا كان فن الرواية الأردية قد بدأ في الظهور في منتصف القرن التاسع عشر علي يد "نذير أحمد" ١٨٣١(م/ ١٩١٢م)، وكان " عبدالحليم شرر" (١٨٦٠م/ ١٩٢٦م) هو صاحب أول رواية تاريخية، فإن "نسيم حجازي " (١٩١٤م/ ١٩٩٦م) قد ضرب بسهم وافر في هذا المجال أيضاً وتناول التاريخ الإسلامي تناولاً ناضجاً من خلال روايات عديدة، وعالج التاريخ المعاصر علاجاً روائياً متميزاً ومتفرداً.

ورغم أن نسيم حجازي يحتل مكانة رفيعة في الأدب الأردي، إلا أن كتاب تاريخ الأدب قد غفلوا عن ذكر تفاصيل حياته، اللهم إلا القليل مثل كتاب " نسيم حجازي ايک مطالعه" للدكتور تصدق حسين راجا، والذي تناول فيه بعض تفاصيل حياة نسيم حجازي، وإنتاجه الأدبي، وآراء الأدباء والمثقفين في أدبه؛ لذا اعتمدت في موضوع البحث علي هذا الكتاب اعتمادا أساسياً، كما استفدت من بعض الإشارات البسيطة التي وردت بين ثنايا كتابات بعض كتّاب تاريخ الأدب عن حياة نسيم حجازي.

نسبه وموطنه:

اسمه محمد شريف، لكنه اشتهر في عالم الأدب بنسيم حجازي، ولد في ١٩/ مايو سنة ١٩١٤م الموافق شعبان ١٣٣٢هـ، في سوجان بور أحدي قري اقليم گورداسبور بالهند، ووالده هو تشودري محمد إبراهيم، كان يعمل مفتشاً بمحكمة ماهي بروري، وكان يرغب في إلحاق إبنه بالجيش، إلا أن نسيم حجازي رغب عن حياة الجندية وعن الوظائف الحكومية. أما والدته فقد توفيت وهو في الخامسة عشر من عمره[١].

طفولته:

كان نسيم حجازي يهوي سماع القصص والحكايات في طفولته، وكثيراً ما كان ينسج من وحي خياله الكثير من القصص، يقول نسيم حجازي في هذا الشأن: : " لقد ولدت باحدي القري، حيث أذكر أنني كنت أستمع إلى الحكايات من الكبار في المنزل، تلك الحكايات التي تتحدث عن قصص الجن والعفاريت والحيوانات المفترسة، وكذلك قصص الأبطال الشجعان الذين ينجحون في مواجهة تلك الكائنات الغريبة. وعندما التحقت بالمدرسة، كنت أحكي لرفاقي في الطريق إلى المدرسة وعند العودة، تلك القصص والحكايات التي أنسجها من وحي خيالي، فلقد كنت شغوفاً في ذلك الوقت بقراءة القصص والروايات"[٢].

وربما أن والدته قد لاحظت عليه منذ طفولته شغفه بالقصص والحكايات، وقدرته علي نسجها وسردها بطريقة مسلسلة ومترابطة، فتمنت أن تراه يوماً روائياً عظيماً، إلا أن المشيئة الإلهية قضت أن لا تعيش إلي هذا اليوم. ولعل تحقيق رغبة الأم كان من أهم دوافع نسيم حجازي نحو كتابة الرواية.

وربما كان تعلقه بالفروسية سبباً من أسباب تناوله لتاريخ انتصارات المسلمين، كما كانت مطالعته للتاريخ الإسلامي سبباً من أسباب تعلقه بالفروسية.

ويذكر نسيم حجازي أنه ذات مرة ذهب مع جده لزيارة أحد الأضرحه، فقبّل جده الضريح، وطلب من نسيم حجازي أن يقبله، إلا أن نسيم حجازي شعر بأن هناك حائلاً بينه وبين هذا الضريح؛ لذا لم يقدم علي تقبيله، وعندما خرجا سأله جده: " ماذا أصابك ؟ " فأجاب: " لم أشعر برغبة في هذا " يقول نسيم حجازي: " ومنذ هذه اللحظة أشعر بأنني في حمي عظيم القوي، علي الرغم من كثرة ذنوبي وضعفي"[٣].

تعليمه:

تلقي نسيم حجازي تعليمه الأولي في المدارس القريبة من قريته، وتخرج في الكلية الإسلامية بلاهور عام ١٩٣٨م، وكان الموضوع الذي جذب إهتمامه، هو التاريخ الإسلامي بينما شغف بالصحافة وعمل بها[٤].

وقد كانت بداية حياته الأدبية عندما أهداه أحد أساتذته كتاب "الفاروق" للعلامه شبلي النعماني وما أن قرأه حتى تمني أن يكون روائياً، وأن يخدم دينه من خلال رواياته، فكتب أول ما كتب قصة باسم " شودر"[٥] نشرت في لاهور باسم " حقيقت اور اسلام: الإسلام والحقيقة" ولاقت استحساناً كبيراً لدي القراء.[٦]

أسرته:

كانت أسرة نسيم حجازي تتكون من خمسة أفراد، هو وزوجته وثلاثة أولاد هم : خالد الابن الأكبر وجاويد الأوسط وأحسن الأصغر بين أخوته[٧]، وقد توفي ابنه الأوسط " جاويد " وهو في التاسعة عشر من عمره، في حادثة مأساوية تقول عنها زوجة نسيم حجازي:

"لقد كانت وفاة الابن الأوسط جاويد أكبر مأساة في حياتنا، فعندما غرق جاويد نسيم في الماء كان عمرة تسعة عشر عاما، ولم يتم العثور علي جثمانه في اليوم الأول، وظل المئات من الناس جالسين حول البحيرة طوال الليل، والعديد منهم كان يغوص في البحيرة للبحث عن جثته ـ وكان ما يقلق نسيم حجازي وقتها هو أن يغرق أحد من هؤلاء الناس أثناء البحث عن جثة ابنه؛ لذا تقدم إليهم وقال: " ليأت معي اثنين فقط ممن يجيدون السباحة، فتقدم أربعة أفراد، وذهبوا في قارب معه، وكان الوقت عصيباً، تقدم نسيم حجازي بالقارب في الماء عدة أميال، ثم أوقفه وقفز من القارب ليغوص في مكان شديد العمق، وبعد فترة نجح في العثور علي الجثة، فعاد بها ولم يره أحد باكيا، كان الأحباب والأصدقاء يواسونه، إلا أنه وفجأة تحطمت عزيمته وأخذ يبكي، ثم ذهب إلى حجرته، وبعد قليل من الوقت فتح أحد الأشخاص باب حجرته فإذا به يراه جالساً يصلي"[٨].

عمله بالصحافة:

كانت بداية نسيم حجازي – في مجال العمل– مع الصحافة؛ فعمل أول ما عمل في جريدة "روزنامه"، إلا أنه مالبث أن ترك العمل بها عندما علم أنها تتلقي معونات من الحكومة

الهندية قدرها عشرة آلاف روبية، إيماناً منه بأن الجريدة لن تجرؤ علي كتابة أي شيئ يتعارض مع سياسة حزب المؤتمر بعد ذلك، ولم يكتف نسيم حجازي بترك هذه الجريدة، بل كتب مقالاً عن هذه المعونات التي تتلقاها[٩].

ثم اشترك نسيم حجازي بعد ذلك مع آخرين في إصدار جريدة " **تعمير** " الصادرة في روالبندي، والتي ظل يعمل بها من عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م وحتي عام ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ثم أصدر مع عنايت الله في ١٤ أغسطس ١٩٥٣م جريدة "كوهستان" التي نالت شهرة خاصة خلال وقت قليل من صدورها، والتي كانت تصدر في وقت من الأوقات من روالبندي ولاهور وملتان[١٠].

لقد ارتبط نسيم حجازي بالقضايا الوطنية والدولية، فلقد مكث في إقليم بلوشستان تسع سنوات، شارك فيها علي المسرح السياسي بقسط وفير، فلم يكن ليكتفي بدور المشاهد للأحداث السياسية التي تدور حوله دون أن يتأثر بها أو يؤثر فيها.

حياته

حياته السياسية:

لقد كان لعمله بالصحافة دور كبير في زيادة وعيه السياسي، وإكتسابه رؤية مستقبلية للقضايا التي تخص الوطن؛ لذا كان لنسيم حجازي دوراً مؤثراً في الحياة السياسية، خاصة في إقليم بلوشستان[١١]، وذلك عندما أشار علي مير جعفر جمالي بضرورة ترشيح شخص له ثقل يمكنه مواجهة مرشح حزب المؤتمر، ويكون عوناً لحزب الرابطة الإسلامي فيما بعد، فلو نجح مرشح حزب المؤتمر سيكون عميلاً للإستعمار الهندوسي في إقليم بلوشستان؛ لذا اجتهد مير جعفر في الإلحاح علي القائد محمد خان جوكزائى بترشيح نفسه في المجلس التشريعي، فنجح بأكثرية ساحقة، وأصبح فيما بعد عوناً لحزب الرابطة الإسلامي في المجلس التشريعي، وبذلك شارك إقليم بلوشستان في مسيرة قيام باكستان بشكل عملي[١٢].

كما دعا الأديب المسلم أدباء باكستان، ممن حملوا راية التجديد وممن يدّعون التقدمية إلى التفكير في الإسلام، وأن يعبروا عن مجتمعهم المسلم، ويحافظوا علي تقاليده الإسلامية ومثله وأخلاقه من خلال أعمالهم الأدبية[١٣].

وعندما أعلن ماونت بيتن في يونيه ١٩٤٧م بأنه سُيجري استفتاءاً عاماً في إقليم بلوشستان بشأن إنضمامه إلى باكستان أو الهند، وما أن قرأ نسيم حجازي هذا الخبر في الصحف حتى اتصل بمير جعفر جمالي، وكان وقتها في مدينة "**نصير آباد**"، فأتي مسرعاً إلى مدينة "**كوئته**"[١٤]، واجتمع بمحمد خان جوكزائى وبعض أعضاء جماعة **شاهى جركه** للتشاور في الأمر[١٥].

عمله بالتجارة:

عندما ترك نسيم حجازي العمل بالصحافة في بادئ الأمر عمل مدرساً للغة الإنجليزية في احدي المدارس المتوسطة، إلا أنه لم يكن ليتم ثلاثة أشهر في هذه الوظيفة حتى تم فصله من قبل إدارة المدرسة، وفي تلك الفترة أرسل السيد جعفر جمالي السيد "اسرار محمد خان" إلي "بلوشستان" لكي يأتي له بنسيم حجازي من أجل أن يقوم بتعليمه اللغة الإنجليزية، ويكون معلماً لأولاده[١٦].

وأثناء إقامة نسيم حجازي في إقليم "بلوشستان" عمل في التجارة، واستمر عمله فيها، وربح الكثير حتى أصبح ثريا، إلا أنه كان دائم الصراع مع نفسه، صراع يدور في عقله بين فريقين أحدهما كان مستقبله في أن يكون روائياً عظيماً، والثاني التجارة التي تدر عليه أرباحاً كثيرة تمكنه من بناء القصور، وشراء الأراضي، وذات يوم قام قِبل صلاة الفجر، وتوضأ، وأخذ يتضرع إلى الله سبحانه وتعالي أن يهديه سواء السبيل، حيث لم يكن المال هو مايبغيه؛ لذا قرر ترك العمل بالتجارة، واتجه إلى الكتابة التي اطمأنت إليها نفسه[١٧].

أسفاره:

طاف نسيم حجازي بالكثير من البلاد العربية والأوربية، كما زار أمريكا وإيران وتركيا، وأثناء إقامته بإيران زار ضريح الشيخ سعدي، وأيوب الأنصاري ومولانا جلال الدين الرومي، كما زار العديد من الأضرحه أثناء إقامته بأنقرة، ثم غادرها متجهاً إلى بيروت والتي أقام بها ثلاثة أيام، ثم سافر بعد ذلك إلى السعودية، لزيارة بيت الله الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٨].

يبعث في القلوب الآمال مع مرارة الحاضر، فلقد أراد جعل الماضي المجيد نموذجاً لمستقبل أفضل[٤١].

وأخيراً يمكن القول بأن هناك تشابه كبير بين فن نسيم حجازي وكتابات نذير أحمد الإصلاحية، غير أن نسيم حجازي تميز من ناحية الوعي التاريخي والشكل الروائي. كما أن نسيم حجازي مثل مرزا هادي رسوا في أنه لم ينجذب لثقافة زائلة بل تتبع أسباب زوالها وقدم وصفة علاجية وخطة محكمة للرقي بها[٤٢].

أراء الأدباء والنقاد في نسيم حجازي:

وصفه المفكر الإسلامي الشهير **أبو الأعلى المودودي** بحامل لواء الأدب القصصي في اللغة الأردية وقال عن قصصه إنها " تمثل الأطر الفنية الراقية التي تثير عواطف القارئ، وتجعله يذوب في القصة ويعتبر نفسه عنصراً من عناصرها ولا ينتهي من القصة إلا ويجد نفسه قد تخلّق بأخلاق أبطالها وقطع عهداً على نفسه أن يسير على نهجهم"[٤٣].

وأضاف قائلاً:

" لقد أحتل نسيم حجازي مكانة في الأدب الأردي ربما لم يحتلها أحد من معاصريه، فلقد احتوت أعماله الروائية علي كل مقومات البناء الفني، الذي يجب أن تحويه أي رواية، كما أن عنصر الجذب موجود في كل جانب من أعماله فيشتاق إليها الشباب والعامة. فنسيم حجازي لم يكتب الرواية من أجل التسلية المحضة، وإنما من أجل ربط المسلمين بالإسلام وقيمه، والتي كانت سبباً في رواج رواياته، فهو يحاول بث القيم الأخلاقية، وروح الجهاد في المسلمين، ولتحقيق هذا الهدف اتخذ من أهم وقائع التاريخ الإسلامي مادة لرواياته، وأعتقد أن نسيم حجازي كتب تلك الروايات كي يسدي للإسلام خدمة جليلة، فيجب العمل علي نشرها بين الشباب والمثقفين، بدلاً من نشر قصص الحب والعشق والروايات الساقطة"[٤٤].

أما أبو القنبلة النووية الدكتور **عبد القدير خان**، فيذكر عن أيام صباه بأنه بعد ما اطلع على رواية "يوسف بن تاشفين" لحجازي، بدأ يترك الروايات البوليسية والجاسوسية، والرومانسية، التي كان شغوفاً بها، واعتكف على روايات نسيم حجازي يقرؤها مرة بعد أخرى، وتنهمر أثناء قراءتها الدموع من عينيه وهو يتضرع إلى مولاه عز وجل أن يجعله بطلا من أبطال روايات نسيم حجازي[٤٥]، وقد تحقق له ما أراد.

يقول أيضا الدكتور عبدالقدير خان:

" لقد قرأت رواياته العديد من المرات، وفي كل مرة كانت الدموع تنهمر من عيني، ففي كتابته صدق وألم، لم أجده عند غيره من الروائيين، ودائماً ما كنت أدعوا الله أن أكون مثل هؤلاء المجاهدين، الذين خدموا عقيدتهم، ووطنهم، والمسلمين[٤٦].

كما يطالب الدكتورعبد القدير خان بترجمة روايات نسيم حجازي إلى أهم لغات العالم، ويطلب من شباب باكستان أن يقرأوا روايات نسيم حجازي فيقول:

"عندما سمعت أن بعض روايات نسيم حجازي قد ترجمت إلى العربية[٤٧] والسنديه والبنغاليه شعرت بسعادة بالغة، فيا ليت هذا الأدب الحي؛ الذي يزيد عمره عن خمس وعشرين عاماً، يُنقل إلى أهم لغات العالم، حتى يمكن الأقوام الأخري أن تستفيد منه. أري أنه فرض عليّ أن أتوجه إلى أصحاب الرأي كي يهتموا بهذا".[٤٨]

ويرى الدكتور **شفيق أحمد** الناقد الباكستاني: "إن كثيرا من الناس لم يقرؤوا لإقبال لوجوه شتى، لكن يندر من لم يقرأ رواية واحدة من روايات نسيم حجازي، ولقد وجدنا كثيراً من الناس يضعون روايات نسيم حجازي بين الكتب المقدسة في بيوتهم"[٤٩].

ويقول الأستاذ الدكتور **إيهاب حفظي عزالعرب** عن روايات نسيم حجازي:

" لقد نال نسيم حجازي مكانة عالية ومنزلة رفيعة في الرواية التاريخية، التي وجدت استحسانا كبيرًا من القراء، الذين وجههم نسيم حجازي إلى ماضيهم التليد، وبث فيهم الحماس، و الانتماء، ودحض مزاعم المغرضين حول الإسلام، وادعاءاتهم الباطلة حول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام. لقد نجح نسيم حجازي في تجسيد شخصية المسلم الحق، الذي يصلح أنِ يكون قدوة للآخرين، وطالب المسلمين أن يسيروا على نهج السلف الصالح، فكانت رواياته ثريا معلقة في السماء تعلق أهالي شبه القارة الهندية بها، كما نجح في إضفاء روح الدعابة، وعناصر التشويق على رواياته، عندما جعل أبطال الإسلام، وقادة الجيوش المعروفين أمثال محمد بن القاسم وغيره يقعون في الحب، ولكنها كانت مرحلة ثانوية في حياة أبطال رواياته"[٥٠].

أما الدكتوره الباكستانية **صغري بانو شكفته** فتقول:

" لقد تيسر لي في السنوات الماضية أن أستزيد من فيض علم السيد نسيم حجازي، الذي يعد بحق ثروة ثمينة للأمة والدين، نفتخر بها ونحيا عليها، وربما يعد هذا غلوا من مشاعري

وأحاسيسي؛ لهذا أري أنه من الأفضل أن ندرس شخصيته من خلال آثاره وشخصيته الروائية، التي يتضح منها أن نسيم حجازي ذو ملة بيضاء، ودين هو الأوحد عند الله " إن الدين عند الله الإسلام "[٥١].

إن القارئ لأعمال نسيم حجازي، يدرك منذ الوهلة الأولي، أنه ملم بتعاليم الإسلام، علي دراية كبيرة بالحلال والحرام. يملأ قلبه الإيمان، والإذعان لأوامر الله، واليقين والثقة بالله ثم بالنفس، فدائماً ما كان يحاول بث مفاهيم الإسلام ودعوته إلى الخلق الرفيعة، والقيم السامية من خلال أعماله الأدبية.

يقول الدكتور رشيد أحمد گوريجة:

"لقد احتل نسيم حجازي مكانة مرموقة بين جميع معاصريه؛ فلقد طبعت بعض رواياته أكثر من أربعين مرة، كما تُرجمت أكثر رواياته إلى لغات أجنبية؛ لذا صارت رواياته هي الروايات المحببة إلى قلوب القراء علي مختلف أعمارهم واتجاهاتهم. ورغم النقد الذي وجه له من قبل بعض النقاد إلا أن رواياته ستبقى حية دائما"[٥٢].

ثم يضيف قائلاً:

" لقد اهتم نسيم حجازي بالجانب المشرق في تاريخ الإسلام من ماضيهم العظيم حتى لا يصاب المسلمون بإحباط؛ فحاول أن يوضح للمسلمين مدي تقصيرهم في حق دينهم وذلك بأن يُسمعهم قصص عظماء المسلمين"[٥٣].

وعن أهم أسباب شهرة ورواج أعمال نسيم حجازي يقول سيد وقار عظيم الأديب الباكستاني المعروف:

" لقد حظي الروائي نسيم حجازي صاحب المؤلفات الكثيرة بقبول واسع بين العامة، وهذا لعدة أسباب أولها وأهمها: هو أنه انتقي من التاريخ الإسلامي مثل هذه الأحداث التاريخية التي تحوي دروس الجرأة والشجاعة والصدق والحق"[٥٤].

وعنه يقول الدكتور **سمير عبد الحميد إبراهيم**[٥٥] "إن نسيم حجازي أديب صاحب حس مرهف تؤثر فيه الأحداث، وتختمر بداخله وتخرج ناضجة فيطوعها بقلمه بين السطور"[٥٦].

كما يقف الدكتور سمير عبدالحميد مدافعاً عن نسيم حجازي، الذي واجه نقداً وجهه له النقاد وهو شبيه بالنقد الذي وجهوه إلى شرر وغيره، وذكروا فيه أن الروايات تبعد عن الواقعية،

وأن الشخصيات في معظمها خالية، كما رأوا أن سرد وقائع القتال بإسهاب، والإتجاه أحياناً إلى تقديم النصائح والمواعظ، يقلل من قيمة الرواية، ويصيب القارئ بإحباط، فيقول:

"لا شك أن معظم النقاد يقيمون حكمهم علي نظرية " الفن للفن" دون تهديف لهذا الفن ذاته، وهذا مخالف للنظرية الإسلامية للأدب القائلة بضرورة وجود هدف لكل شيئ، وهذا ما وضعه نسيم حجازي أمامه في كتابته لرواياته، فهو يريد أن يحول الشرارة الكامنة في صدور شباب المسلمين إلى شعلة يمكن أن تجدد عصور البعث الإسلامي، وهو يريد أن يضيئ أذهان الشباب المسلم بعظمة الإسلام التي تجعلهم يشعرون بالثقة في أنفسهم من خلال التعرف علي ماضيهم التليد،... وما يوجهه النقاد من نقد لروايات نسيم حجازي هو نقد مردود، فقد صور الأديب مجاهدي الإسلام مثلهم مثل بقية خلق الله، ولم يصنع منهم ملائكة؛ فشخصيات رواياته من أبطال الإسلام، أناس عاديون ولكن أي أناس هم؟ إنهم أناس تفتخر بهم الإنسانية، إنهم جند الله الذين نشروا دين الله في العالم، حملوا الأمانة، وقضوا كل لحظة من حياتهم في خدمة دين الله"[٥٧].

ويوضح الدكتور فاروق الدور الكبير الذي لعبته روايات مثل روايات نسيم حجازي والسبب في نجاحها ورواجها بين الناس فيقول:

"لقد تبنت الرواية موضوعات جديدة بعد عملية التقسيم، حيث اتجه نسيم حجازي... إلى محاولة تشكيل مجتمع جديد عن طريق إعطاء دروس للمجتمع من خلال الأحداث التاريخية الماضية، والشخصيات التاريخية ذات الحمية العالية"[٥٨].

والسبب في إن هذه الروايات قد نالت شهرة ورواجاً كبيراً بين الناس في هذا الوقت، هو أنها جاءت مليئة بالصور الصادقة، وأنها أعتمدت علي الأخلاق الإنسانية للتعبير عن الظلم والقهر الذي وقع على الناس في هذه الفترة.

"لقد خرجت علينا رواية: "محمد بن القاسم" لنسيم حجازي للتخفيف عن الجرحي والمنكسرين بعد عملية تقسيم الهند، وأخراج القوم من كبوة اليأس والقنوط، وإعطائهم أمل جديد في الحياة"[٥٩].

ويحكي **يوسف طلال علي**[٦٠] عن كيفية تعرفه بنسيم حجازي، وعن الدور الذي قامت به روايات نسيم حجازي في تغيير مسار حياته فيقول:

"لقد تعرفت علي نسيم حجازي بنفس الطريقة التي تعرفت بها علي الإسلام، حيث تعرفت علي كليهما عن طريق "**اسبانيا**"، فعندما كنت طالباً بالجامعة في امريكا، كنت أدرس اللغة الأسبانية، وعندها أتضح لي بأنني لا أعلم شيئاً عن اسبانيا رغم كل ماقرأته عن أدبها وثقافتها، وتعجبت عندما علمت أن العرب المسلمين هم أصحاب هذه الثقافة المزدهرة،... وعن طريق معرفتي لاسبانيا، تعرفت علي الإسلام الذي غيّر لي أسلوب حياتي تماماً، وعندها بدأت أدرس اللغة الأردية، وكنت مغرماً بالروايات التاريخية، التي كتبها نسيم حجازي عن مسلمي الأندلس"[٦١].

يقول **أفضل اعزاز** واصفاً دقة نسيم حجازي في اختيار شخصياته:

"لقد كان لنسيم حجازي قدرة خاصة علي إختيار شخصيات رواياته، فلقد انتقي الأحداث من التاريخ الإسلامي الممتد لأربعة عشر قرناً، تلك الأحداث التي توضح هذا الجانب العظيم من العزة والقوة والشجاعة الإسلامية، وقدمها في شكل روائي بأسلوب جميل جذاب. لقد عاش نسيم حجازي حياته في قلق وإضطراب دائم من أجل أمن وسلام باكستان، فلكم تألم كثيراً بسبب أنفصال باكستان الشرقية، وكم من الليالي مرت عليه وهو في حزن وضيق، فلقد كان يعيش بالإسلام وللإسلام"[٦٢].

لقد كان نسيم حجازي من هؤلاء الأدباء الذين اهتموا بالقضايا الإصلاحية والأخلاقية داخل المجتمع؛ فهو دائماً ما يحاول أن يرصد تلك القضايا من خلال حياة الطبقة المتوسطة؛ لذا رأينا الكثير من أبطال رواياته يمثلون هذه الطبقة يقول الدكتور قمر رئيس:

"لقد كتب راشد الخيري، و نسيم حجازي، ورئيس أحمد جعفري، مثل هذه الروايات التي تبنت حياة الطبقة المتوسطة للمسلمين من وجهة نظر إصلاحية وأخلاقية"[٦٣].

والحقيقة التي سلم بها الأعداء قبل الأصدقاء هي أن نسيم حجازي كان الأكثر شهرة، فلقد كان العامة يقبلون علي مؤلفاته في شوق ولهفة، فمع بداية شهرته بدأت تترجم مؤلفاته إلى البنغالية، كما كانت مؤلفاته تنشر في الهند أيضاً بطريقة غير قانونية، حتى أن بعض الكتّاب كانوا يذهبون إلى الهند لنشر مؤلفاتهم تحت اسم "نسيم حجازي"؛ وذلك كي يحققوا مكاسب مالية خاصة بهم"[٦٤].

ويقول الدكتور **سليم اختر** عن نسيم حجازي بعد أن وجه نقداً إلى رواياته، حيث قلل من قدرة روايات نسيم حجازي الفنية، وبأنها تهتم بالموضوع علي حساب الناحية الفنية:

"لقد كان نسيم حجازي روائياً ذو شهرة واسعة، لاقت رواياته التاريخية الإسلامية قبولاً كبيراً بين القراء مما أثار سؤلاً هاماً للنقد الأدبي، وهو هل أن الشاعر أو الكاتب في حاجة لتأئيد من النقاد من أجل أن يلقي قبولاً بين الناس أم أنه يمكن أن يكون ناجحاً بدونهم؟"[٦٥] . ويقصد الدكتور سليم اختر بذلك أنه علي الرغم من ضعف روايات نسيم حجازي الفنية، وعلي الرغم من النقد الذي وجهه إليه النقاد، إلا أن رواياته لاقت قبولاً واستحسانا عند العامة.

كما أشاع بعض النقاد أصحاب النظرة الضيقة أنه لم يكن علي دراية بأسرار ورموز الأدب في حين أتهمه البعض بتعصب بأنه لم يتعرف علي أصول ومعايير الأدب العالمي[٦٦] . وقد أجابنا علي وجهة النظر هذه فيما سبق.

لقد تأملت روايات نسيم حجازي، فرأيت أنها تندرج تحت قسم من أقسام الرواية التاريخية وهو: " استدعاء التاريخ" والتي يهدف الروائي منها إلى تحريك الأذهان، وشحنها بالقيم والأفكار تجاه الماضي والواقع معاً، والتطلع نحو الغد انطلاقاً من هذه الأفكار وتلك القيم، وليعالج بها قضايا معاصرة ملحة.

فالرواية التاريخية ـ فنياً ـ ثلاثة أقسام؛ **الأول**: لا تتوافر فيه الأسس والمفاهيم الفنية لبناء الرواية، وكان الهدف منه غالباً هدفاً تعليمياً. **القسم الثاني**: نبت علي يد رواد الحرف الفنية الناضجة، وهو ما أطلق عليها رواية " النضج". أما **القسم الثالث** والأخير، فيتمثل في الاستفادة من التاريخ كإطار يتحرك من داخله الكاتب الروائي مستعينا بالخيال الروائي الفضفاض"[٦٧] .

ولقد نجح نسيم حجازي إلى حد كبير في استدعاء التاريخ، واتخاذه وسيلة لمعالجة قضايا معاصرة، أغلبها يرتبط بواقع المسلمين السياسي والاجتماعي والثقافي، فنسيم حجازي من الأدباء القلائل الذين اهتموا بالرواية التاريخية من منظور إسلامي صاف، ويقف موقفاً متميزاً من حيث إخضاع الفكرة القصصية للرؤية الإسلامية الصافية.

لقد كتب نسيم حجازي عدداً لا بأس به من الروايات التاريخية التي عالجت فترات عديدة من تاريخنا الإسلامي، وأحسب أن اختيار هذه الفترات لم يأت عفواً، وإنما اختارها بعناية لتلقي علي الحاضر بظلالها، وليعالج من خلال أحداثها وشخصياتها قضايا وصعوبات تؤرق

الكتّاب والأمة، فلقد كانت شبه القارة الهندية تعاني من الاستعمار الأجنبي، وتتعذب بآلام الاحتلال، وسيطرة الدخيل، وتمزق أبناء الشعب الواحد، وصراعات الحكام والقادة الهندوس للسيطرة علي الحكم بعد ذهاب الإنجليز؛ لذا كان التعبير عن هذه القضايا مسألة ملحة وضرورية.

لقد كان نسيم حجازي المناضل المثقف علي طرف نقيض من الأدباء المتطلعين إلى مكانة اجتماعية أعلي، هروباً من ماضيهم، وتنكراً لطبقتهم ولو علي حساب معتقداتهم الدفينة، وتسلقاً لسلم السلطة مما يؤدي في النهاية إلى خيانة رسالتهم الاجتماعية القومية الإنسانية، وقبل كل شيء خيانتهم لدينهم؛ لذا ناشدهم أن يكونوا أمناء علي دينهم ووطنهم ومجتمعهم بأن يسخروا أدبهم في خدمة الحياة لا من أجل الفن فقط.

إنني أدعو من قلل من قدرة روايات نسيم حجازي الفنية، واتهمها بأنها تهتم بالموضوع علي حساب الناحية الفنية أن يعي قول لابروييرLa Bruyere) حينما قال: "حينما تسمو القراءة بفكرك، وتلهمك مشاعر النبل وعلو الهمة، فلا تبحث عن قاعدة أخري للحكم علي الكتاب، فهو حينئذ طيب، وخرج من يد صناع"[٦٨]. فالفن وقبل كل شيء، وحسب المنظور الرومانسي، ليس بناءً شكلياً بل تأتي أهميته من قدرته علي توليد تجربة ما وإنتاج معني يؤثر في الحياة[٦٩].

نعم لقد أهتم نسيم حجازي بالموضوع لكنه لم يغفل الناحية الفنية في الرواية، بل لقد تميزت رواياته بأنها تحمل بين طياتها معان وأفكار وقضايا جديدة إلي جانب أنها تعبر عن الواقع تعبيرا صادقا، رغم أنه اختار هذا النوع من القصص الذي يتطلب معرفة تامة بالحياة الاجتماعية والسياسية في الفترة التي يكتب عنها، حيث لا يكف الإلمام بمظاهر الحياة فقط، أو أن يعتمد في كتابته للرواية علي سرد أحداث تاريخية، وإلا خرجت الرواية بصورة غير مقبولة؛ فكاتب الرواية التاريخية لا يمكنه أن يبني روايته علي ضرب من الخيال أو معلومات تاريخية مزيفة، وإلا خرجت الرواية غير معبرة عن تلك الفترة التي يكتب عنها؛ لذا لم يعمد نسيم حجازي إلي فعل مثل هذا وإنما نراه يكتب عن أحداث عاصرها كما هو الحال في الرواية "التراب والدم" أو أننا نراه يكتب عن أحداث تاريخية استطاع أن يلم بها إلماماً كاملاً عن طريق الدراسة. فلم يكن نسيم حجازي يرغب في افتعال موقف أو خلق حدث في الرواية يجذب إليه القارئ إيماناً منه بأن: " القصص إما جيد أو رديء فالرديء هو ما يهدف إلي إعجاب القارئ بتملق عواطفه، في حين أن الجيد

بمثابة مطلب ينشده الكاتب من القارئ صادراً عن عقيدته"[٧٠]. وهذا ما نلمسه في أعمال نسيم حجازي الذي يؤمن بأن الأدب في خدمة الحياة، وأنه لا معني لعمل أدبي لا يستفيد منه المجتمع في شيء.

خلاصة البحث

وخلاصة القول أنه بعد مطالعة أعمال نسيم حجازي أتضح أنه يتمتع بمكانة معروفة في الأدب الأردي، وإن كان قد سار علي درب عبدالحليم شرر وغيره من كتاب الرواية الأردية في أنه أهتم بالماضي وتاريخ السلف العظيم إلا أنه تفرد عنهم في المنهج والأسلوب، فنسيم حجازي لم يعمد إلي تزييف التاريخ، ولم يخلق أحداثاً تحمل الحقيقة لكي يعطي بذلك للرواية رونقاً، ويكسبها مزيداً من التشويق، بل إن نسيم حجازي فطن إلي أن الواقع بأحداثه هو أكثر تشويقاً وجذباً للقارئ وتأثيراً فيه. كما اهتم نسيم حجازي بالناحية الفنية إلي جانب اهتمامه بالموضوع، وإن كان قد غلب علي أسلوبه في بعض الأحيان الأسلوب الخطابي.

استطاع نسيم حجازي أيضاً من خلال رواياته أن يلقي الضوء علي الكثير من ثقافات العديد من الشعوب، وامتازت رواياته بأنها ذات مصداقية تاريخية . لا سيما وأنه قد درس التاريخ . وذات عمق، فنسيم حجازي ينتقي من التاريخ ما يعين القاري علي فهم التاريخ فهماً جيداً بكل أحاسيسه ومشاعره، وهو ما عجزت أقلام المؤرخين عن توضيحها له. كما تولت أعمال نسيم حجازي الرد علي الشبهات المنسوبة إلي الإسلام، وذلك بأن اختار من التاريخ الإسلامي الجوانب المشرقة . وما أكثرها . وذلك على عكس الكثير من كتاب الرواية الذين كانوا يميلون إلي تسليط الضوء علي الجوانب المظلمة، وذلك حتي لا يصاب المسلمين بالإحباط، فنراه يقدم الماضي المشرق المضيء لكي يبعث في شباب الأمة وقلوبها الآمال رغم مرارة الحاضر، فهو يريد جعل الماضي بكل ما فيه من أمجاد للأجداد نموذجاً لمستقبل أفضل.

الهوامش و المصادر

[١] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ايک مطالعه)، قومي كتب خانه- لاهور، سبتمبر ١٩٨٧م ص ٢١، وانظر: ملك حسن اختر، تاريخ ادب اردو، ابلاغ ميان ماركيٹ- اردو ادب بازار-

لاهور،الطبعة الثانية يوليه ١٩٩٦م.وأيضا: اعجازأحمد نواب، اسلامي جمهوريه پاکستان (معلومات پاکستان) ، نواب سنز پيلي کيشنز کميٹي تشوك، اقبال روڈ، روالبندي، ص ١٧٧، ١٧٨.

[٢] المصدر السابق، ص ٢٩٠، ٢٩١.

[٣] لمصدر السابق، ص ٣٩، ٤٠.

[٤] سمير عبد الحميد، الأدب الأردي الإسلامي، ص ٦٧٥.

[٥] الشودر: هم طبقة المنبوذين، ويقال أنهم أصل سكان الهند، وهم الطبقة الرابعة طبقاً للتقسيم الطبقي الهندوسي.

[٦] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ايک مطالعه)، ص٢٩١.

[٧] المصدر السابق، ص ١٢٤.

[٨] المصدر السابق، ص ٢٨٢.

[٩] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ايک مطالله)، ص٢٢.

[١٠] سمير عبدالحميد، الأدب الأردي الإسلامي، ص٦٨٥، ٦٨٦. نقلا عن: مسكين علي حجازي- بنجاب مين اردو صحافت كي تاريخ- سنک ميل ببلي كيشنز، لاهور١٩٩٩م ص٢٤٣.

[١١] بلوشستان: أحد أقاليم باكستان، يفصل بين إيران وباكستان، وهو أكبر اقاليم باكستان من حيث المساحة، يحده من الشرق جبال البب التي تفصل بينه وبين اقليم السند، ومن الغرب إيران ومن الجنوب بحر العرب. انظر:

اسد سليم شيخ، انسائيكلوپيڈيا تحريک پاکستان، سنگ ميل پبلي کيشنز، لاهور١٩٩٩م ص٢٠٠.

[١٢] المصدر السابق، ص ٣٢، ٣٣.

[١٣] سمير عبدالحميد، الأدب الأردي الإسلامي، ص٦٨٥.

[١٤] كوئته: احدي مدن أقليم بلوشستان، انظر، اعجاز أحمد نواب، اسلامي جمهوريه پاکستان، ص ٢٨٢.

[١٥] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ايک مطالعه)، ص٣٣.

[١٦] انظر: تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ايک مطالعه)، ص٢٢، ٢٣.

[١٧] المصدر السابق، ص٢٦.

[١٨] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص٤٤: ٥٠.

[١٩] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص٣٠٤: ٣٠٥.

[٢٠] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص ٦٤.

[٢١] سمير عبدالحميد، الأدب الأردي الإسلامي، ص٦٧٩.

[٢٢] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص ١٩.

[٢٣] المصدر السابق، ص١٩.

[٢٤] سمير عبدالحميد، الأدب الأردي الإسلامي، ص٦٧٥.

[٢٥] تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص ١٨٦.

[٢٦] المصدر السابق، ص ١٨٠.

[٢٧] سيد قاسم محمود، انسيكلوبیڈیا پاکستانی کا، شاه کار بوکس فاونڈیشن، طبع اول، کراچی مارچ ١٩٩٨ء ص٩٣٤، ٩٣٥.

[٢٨] – تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص ٢٩١.

[٢٩] – پروفیسر عبدالغني – اسلوب وتنقيد – عاطف بک ڈپو، مٹیا محل – دهلي ١٩٨٩ء ص٢٤٠.

[٣٠] – المرجع السابق، ص٢٤١.

[٣١] – المرجع السابق، ص٢٤٦.

[٣٢] – المرجع السابق، ص٢٤٧.

[٣٣] – المرجع السابق، ص٢٤٨.

[٣٤] – سيد ضياء أحمد رضوي، تاريخي ناول کے بعد، مقاله برائے ایم اے، ١٩٦٢م، ص ١٠٨.

[٣٥] – پروفیسر عبدالغني، اسلوب وتنقيد، ص٢٥٠.

[٣٦] – سيد ضياء أحمد رضوي، تاريخي ناول کے بعد، ص ٩٩: ١٠٠.

[٣٧] – المرجع السابق، ص ١٠٨.

[٣٨] – المرجع السابق، ص١٣٥.

[٣٩] – المرجع السابق، ص ١٣٦.

[٤٠] – المرجع السابق، ص١٠٨.

[٤١] - پروفيسر عبدالغني، اسلوب وتنقيد، ص٢٥١.

[٤٢] - المرجع السابق، ص٢٥١.

[٤٣] - http://www.bakatheer.com/nasimhijazi.htm نشرت في هذا الموقع بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣م ص٢.

[٤٤] - نسيم حجازي، مقدمة رواية " يوسف بن تاشفين"، رياض اے . شيخ (ايڈووكيٹ)، نياز جهانگير پرنٹرز، لاهور ١٩٥١م.

[٤٥] - http://www.bakatheer.com/nasimhijazi.htm نشرت في هذا الموقع بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣م ص٢.

[٤٦] - نسيم حجازي، غلاف رواية " يوسف بن تاشفين"، رياض اے . شيخ(ايڈووكيٹ، نياز جهانگير پرنترز، لاهور ١٩٥١م.

[٤٧] ترجمت رواية " محمد بن القاسم" إلى العربية، وقام بترجمتها الدكتور ظهور أحمد أظهر. أنظر: تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ايک مطالعه)، قومي كتب خانه- لاهور، سبتمبر ١٩٨٧م ص ١٤٦.

[٤٨] نسيم حجازي، غلاف رواية " يوسف بن تاشفين".

[٤٩] - http://www.bakatheer.com/nasimhijazi.htm نشرت في هذا الموقع بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣م ص٢.

[٥٠] إيهاب حفظي عز العرب، الاتجاه الإسلامي في روايات نسيم حجازي، ص٣.

[٥١] سورة آل عمران، آية رقم ١٩.

٥٢ رشيد احمد گوريجه، اردو ميں تاريخى ناول، ص٧٦٨.

[٥٣] المرجع السابق، ص٧٦٤.

[٥٤] المرجع السابق، ص٧٦٨.

[٥٥] - أستاذ اللغة الأردية بقسم اللغات الشرقية –كلية الآداب – جامعة القاهرة سابقاً.

[٥٦] - - http://www.bakatheer.com/nasimhijazi.htm نشرت في هذا الموقع بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٣م ص٢.

[٥٧] - سمير عبدالحميد إبراهيم، الأدب الأردي الإسلامي، ص٦٧٩: ٦٨٠.

[٥٨] - فاروق عثمان، اردو ناول میں مسلم ثقافت، ص١٦٥.

[٥٩] - المرجع السابق، ص ٢٧٨: ٢٨٠.

[٦٠] - أحد المسلمين الجدد من أصل أمريكي، ولد بامريكا سنة ١٩٤٨م، وهو رئيس قسم الترجمة بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد.

[٦١] - تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص٢٠٩: ٢١١.

[٦٢] - المرجع السابق، ص٢١٦: ٢١٧.

[٦٣] - ڈاکٹر/قمر رئیس، ڈاکٹر خلیق انجم، اصناف ادب اردو، سرسید بک ڈپو، جامعۂ اردو، علی گڑھ، دہلی ١٩٨٩ء، ص١١٠.

[٦٤] - تصدق حسين راجا، نسيم حجازي (ایک مطالعه)، ص ١٣٩.

[٦٥] - سليم اختر، اردو ادب کی مختصر ترین تاریخ آغاز سے ٢٠٠٠ تک، ص٥٠٢.

[٦٦] - پروفیسر عبدالغني، اسلوب وتنقید، ص٢٤٧.

[٦٧] - حلمي محمد القاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث دراسة تطبيقية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، عدد رقم ١٣٩، الطبعة الأولي ٢٠٠٢م ص٨.

[٦٨] - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص٢٨٩.

[٦٩] - مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، تأليف: مجموعة من الكتّاب، ترجمة: رضوان ظاظا، سلسلة كتب عالم المعرفة، عدد (١٢١)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ص, ١٢٠

[٧٠] - چان پول سارتر، ما الأدب؟، ترجمة د/ محمد غنيمي هلال، سلسلة المئويات، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٥م، ص٦٨.